الفعل المباشر وغير المباشر في حوار سيدنا إبراهيم -عليه السلام- مع أبيه وقومه - دراسة تداولية-

أ. نهله محمد النوار*

سلم البحث في ٢/١٠/١٤٤٧هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ٤/١١/١٤٤٧هـ

ملخص البحث:

سعت الدّراسة في هذا المقطع الحواريّ إلى الكشف عن الأفعال الكلاميّة التي اعتمد عليها إبراهيم في حواره مع أبيه، وقومه، وبيان الإستراتيجيّات التي اعتمد عليها إبراهيم؛ للتأثير في أبيه، وقومه في سورة الأنعام (الآية ٧٤)، وسورة الأنبياء (الآية ٥٢-٧٠)، وسورة مريم (الآية٤٢-٤٨)، وقد جاء الحوار في قالب قصصيّ سريع؛ ليمثّل مشهدًا من دعوة إبراهيم لأبيه، وقومه إلى عبادة الله وحده، ولتحقيق ذلك؛ اتّبعت الدراسة المنهج القائم على الوصف والتحليل الذي يوضّح الأفعال المباشرة، وغير المباشرة التي وُظّفت في حوار سيّدنا إبراهيم، واستخراجها، وتحليلها من وجهة نظر التداولية، وقد توصّلت الدراسة إلى جملة من النتائج، مفادُها تنوّع الأفعال التوجيهية المباشرة، إضافة إلى ذلك: بروز الأفعال المباشرة التي نقلت الفعل من المباشر إلى الفعل غير المباشر، مدعمًا بالحِجَج العمليّة.

الكلمات المفتاحية: التداولية، أفعال الكلام، الفعل المباشر، غير المباشر.

ABSTRACT

The present study aims to examine the speech acts employed by Abraham in his dialogues with his father and his people, and to identify the strategies he used to influence them. The analysis is based on selected verses from *Surah* Al-Anam (٧٤), Surah Al-Anbiya (٥٢–٧٠), and Surah Maryam (٤٢–٤٨).

The dialogue is presented in a concise narrative form, depicting a scene from Abraham's call to his father and his people to worship God alone. To achieve this objective, the study adopts a descriptive-analytical approach that clarifies both direct and indirect speech acts used in Abraham's discourse, extracting and analyzing them from a pragmatic perspective.

The findings indicate a diversity of direct directive speech acts, as well as a clear prominence of forms that shift from direct to indirect speech acts, supported by practical arguments.

Keywords: Pragmatics, Speech Acts, Direct Speech Act, Indirect Speech Act.

* باحثة ماجستير في قسم اللغة العربية جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية.

المقدمة:

قد شهد حقل الدراسات اللّسانيّة التي تهتمّ بدراسة الظواهر اللُّغويّة توسُّعًا مستمرًّا، وتشعّبت خطط ودراسات منهجية وإجرائية في مجالات مختلفة: كالأدب، والتاريخ، والاجتماع، فأصبحت الدراسات التداوليّة، والنّصّيّة مجالًا خصبًا للكشف عن المعالم الجديدة في البحث اللساني، فعكفت على دراسة اللغة البشرية من خلال التواصل والتفاعل.

وتُعدّ التداولية من المناهج الحديثة التي تهتمّ بدراسة اللغة في الاستعمال المقاميّ لها، وهو منهج لسانيّ، يُبيِّن مقاصد المتكلّم الذي يمتلك السلطة في القول، والمخاطب الذي بيده أدوات التلقّي وفقًا لهُوِيّة المكان الذي قيل فيه، ومتى، وأين، وأيّ ظروف، أحيطت به، أي: يختلف معنى الكلام باختلاف الظروف والسياقات التي وردت فيه.

وتتمثّل مشكلة الدراسة في نظرية الأفعال الكلامية التي تعدّ من النظريّات اللغويّة الحديثة التي تصبّ اهتمامها بدراسة اللغة في الاستعماليّ المقاميّ التي ما زالت تحظى باهتمام لدى الباحثين، فجاءت هذه الدراسة؛ للكشف عن الأفعال الكلامية المباشرة، وما تتضمّنه من أفعال غير مباشرة في حوار إبراهيم –عليه السلام– مع أبيه وقومه، وذلك بالإجابة عن الأسئلة الآتية:

١–ما الأفعال الكلاميّة التي اعتمد عليها إبراهيم في حواره مع أبيه قومه؟

٢–ما الإستراتيجيّات التي اعتمد عليها إبراهيم؛ للتأثير في أبيه وقومه وإقناعهم؟

والإجابة عن الأسئلة السابقة تساعد في تحقيق أهداف الدراسة التي جاءت على النحو الآتي:

١–الكشف عن الأفعال الكلامية التي اعتمد عليها إبراهيم في حواره مع أبيه وقومه.

٢–بيان الإستراتيجيات التي اعتمد عليها إبراهيم؛ للتأثير في أبيه وقومه وإقناعهم.

وبرزت أهمية الدراسة على النحو الآتي:

١– أهمية الأفعال الكلامية التي تقوم على ضبط معايير القدرة التواصلية الإنجازية، ومعرفة الأفعال المباشرة وغير المباشرة لاستقصاء المعنى الخطابي في شكله التداولي.

٢–الاستفادة من الدراسات الحديثة لنظرية الفعل الكلامي في الدراسات القرآنية بما يتناسب مع خصوصية النص القرآني.

٣–الاعتماد على آليات المنهج التداولي بالتعمق في دراسة الحوار، وربط طبيعة

الحوارات بطبيعة المتحاورين، ومقاماتهم؛ بغية الوصول إلى نتائج، فكل حوار يحمل في طياته معاني مباشرة صريحة، وضمنية، تعكس غاية أصحابها.

وتعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفيّ التحليليّ في رصد الأفعال الكلامية المباشرة، وغير المباشرة التي وُظِّفت في حوارات إبراهيم، عليه السلام.

وتضمّنت منهجيّة الدراسة الحديث عن نظريّة الأفعال الكلاميّة بحسب تصنيف سيرل للأفعال الكلامية، ثم تطبيقها على حوارات متعدّدة لسيدنا إبراهيم –عليه السلام– مع أبيه وقومه في سورة الأنعام (الآية ٧٤)، وسورة الأنبياء (الآية ٥٢–٧٠)، وسورة مريم (الآية٤٢–٤٨)، مستعينة بآليّة التحليل التي تستند إلى مكوّنات الفعل الكلاميّ، وخاتمة الدراسة لعرض أهم النتائج، وجاء اختيار العيّنة لعدد من الاعتبارات، منها:

– تنوّع أساليب الحوار في حوار إبراهيم –عليه السلام– مع أبيه قومه؛ إذ تراوحت بين التلميح والتصريح، وبين الشدة واللين في الحوار، وبين السخرية والتهكم، مراعيًا حال المخاطبين وظروفهم.

– اختلاف الإستراتيجيّات، وبروز الإستراتيجيّات الإقناعيّة بتوظيف الفعل المباشر، وغير المباشر.

وأما **الدراسات السابقة** فمن أبرزها الدراسات الآتية:

بحث منشور بعنوان **(الأفعال الكلامية اللغوية المباشرة وغير المباشرة في كتاب ذكريات للطنطاوي)**، إعداد الباحث سعيد آل سرور، المجلة العربية للنشر العلمي، ٢٠٢١م.

تناولت هذه الدراسة الأفعال الكلامية في كتاب ذكريات للطنطاوي من خلال الوقوف على تحليل كتاب الطنطاوي ذكريات لا مذكرات، وتحليله تحليلا تداوليا مبنيا على توظيف الأفعال الكلامية وفق تصنيف سيرل، وقد توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج، وهي: أن الطنطاوي يرمي في أغلب كلامه وحواراته إلى المعنى غير المباشر الذهني، الذي يهدف من ورائه إلى امتاع القارئ بالأساليب اللغوية الغنية بالتشبيهات والاستعارات البلاغية وصولا إلى المعاني المقصودة، وتتفق هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في كونها تتناول الأفعال الكلامية، و المنهج المتبع، وتختلف عنها في مدونة الدراسة.

رسالة الدكتوراة بعنوان **(الأفعال الكلامية في القرآن الكريم– سورة البقرة دراسة تداولية)**، إعداد الباحث محمد مدور، جامعة الحاج لخضر– باتنة، ٢٠١٣–

٢٠١٤م.

تناولت هذه الدراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم من خلال الوقوف على تحليل سورة البقرة، وتحليلها تحليلًا تداوليًّا مبنيًّا على توظيف نظرية الأفعال الكلامية من خلال دراسة الأفعال الكلامية وفق تصنيف سيرل، وقد توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج مفادها أن الأفعال الكلامية غير المباشرة هي الأكثر حضورا في الخطاب القرآني، جاءت الأفعال غير مباشرة أكثر قوة من الأفعال الصريحة، وتتّفق هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في كونها تتناول الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، والمنهج المتّبع، وتختلف عنها في كون الدراسة الحالية تتناول الأفعال الكلامية في قصة النبي إبراهيم، وبيان القوة في الأفعال الواردة في القصة.

المبحث الأول: الأفعال الكلامية

تعدّدت مصطلحات الفعل الكلاميّ بين (الفعل اللغويّ، أو فعل الخطاب، أو الحدث الكلاميّ)، وعرف الفعل الكلامي عند (دومنينيك مانغونو Dominic Mangonon) في كتابه مصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب أنّه: "الوحدة الصغرى التي من خلالها يتحقق في الكلام فعلًا، ويكون (أمرًا، وتصريحًا، ووعدًا، وطلبًا ...)؛ إذ تُبرِز غايته تغييرَ حال المخاطبين، واللفظ المتشارك بين المتخاطبين لا يمكن تأويله إلا إذا عُرف الطابع القصديّ للفعل". [١] ومن خلال المفهوم يتّضح أنّ الوحدة الصغرى في الخطاب تمثّل الأساس الذي من خلاله يتحقق الفعل الكلاميّ، كأن يكون أمرًا، أو تصريحًا، أو وعدًا، أو غيره، ولا تكتسب الوحدة دلالتها إلا إذا ارتبطت بالقصد الذي يريده المتكلم نحو المخاطب، ويريد تغيير حاله، فاللفظ المتبادل بين المتخاطبين لا يمكن تفسيره تفسيرًا صحيحًا إلّا إذا أخذ بالقصد.

سيرل وأفعال الكلام

قدّم سيرل محاولات لتطوير النظرية وتقسيمها؛ إذ عُدّت دراسته أكثر منهجية بالضبط والدقة، وأعمق تحليلًا من خلال ضبطه للمفاهيم، من منطلق الفعل الإنجازيّ، والفعل الكلامي لديه لا يقتصر على مراد المتكلم، بل يرتبط بالعرف اللغويّ والاجتماعيّ، ومن إسهامات سيرل –أيضًا– أنه طوّر شروط الملاءمة لدى أوستن، فجعلها أربعة شروط، وطبّقها تطبيقًا مُحكمًا على أفعال إنجازية كثيرة. [٢]

---

[١] مانغونو، دومينيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد بحياتن، (الجزائر، منشورات الاختلاف، ط١، ٢٠٠٨م)، ٧.

[٢] العيد جلولي، نظرية الحدث الكلامي من أوستن إلى سيرل، (مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، (د ت)، ٦١-٦٢.

وقسّم بنية الفعل الكلامي إلى ثلاثة أقسام، وهي: (الفعل التلفّظيّ، أو فعل القول)، وهو النّطق بالكلمات على النّسق النحويّ، والمعجميّ، (الفعل القضويّ، أو فعل الإسناد)، ويُقصَد به الإحالة والمرجع، والفعل الإنجازي (فعل الإنشاء)، ويُقصَد به عند سيرل ما كان به الإخبار، أو الاستفهام، أو الأمر، أمّا (الفعل التأثيريّ) فليس له أهمية ضمن الأصناف؛ لأنّه يرى أنّ من الأفعال لا تأثر في السامع، أو المخاطب.[١]

شروط الإنجاز عند سيرل [٢]

أ- شرط المحتوى القضويّ: وهو المحتوى الأصليّ للحدث، أو القضيّة؛ إذ يتحقّق الشرط -مثلًا- في فعل الوعد إذا كان مبينًا للحدث في المستقبل، ويلزم به المتكلم نفسه، فهو فعل مستقبليّ موجّه للسامع.

ب- الشرط التمهيديّ: يكون هذا الشرط متحقّقًا إذا كان المتكلم قادرًا على إنجاز الفعل.

ج-شرط الإخلاص: يكون المتكلّم مخلصًا في أدائه للفعل، وذلك من خلال قوله الذي يعتقده، وقادرًا على فعل ما يستطيع.

د- الشرط الأساسيّ: وهو تحقيق التأثير في السامع؛ لإنجاز الفعل.

من هذه الشروط قدّم سيرل تصنيفًا بديلًا عن تصنيف أوستن قائمًا على ثلاثة أسس منهجية، وهي (الغرض الإنجازي (Illocutionary) - اتجاه المطابقة (Direction of fit)، ويقصد به ارتباط مضمون الحدث المراد به لغويًّا مع العالم الخارجي، وقد جعلها سيرل أربع طرائق: (اتجاه المطابقة المزدوج، واتجاه المطابقة من اللفظ إلى العالم، ويناسب عمل الإخبار، واتجاه المطابقة من العالم إلى اللفظ، ويناسب الأوامر والطلب، وشرط الإخلاص Sincerity condition)، وجعل التصنيفات خمسة أصناف مثل أوستن.[٣]

أ- **الإخباريّات (Assertives)**: تتميّز هذه الفئة بأنّ المتكلّم يهدف بالإخبار محتوى معينًا، ويُطلق عليها اسمًا آخر، وهي (التقريريّات)، فالمتكلم يعلم بصحة ما يُخبِر، فهي من الألفاظ التي ينطبق عليها معيار الصدق والكذب.

---

[١] الجيلاني، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص٢٤.

[٢] أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ٧٤-٧٥.

[٣] طالب سيد الطبطباني، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، (الكويت، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤م)، ٢٩.

ب- **التوجيهات (Directives)**: يطلق عليها (الملفوظات الإنجازية)، فغرضها الإنجاز، فالمتكلم يحاول توجيه خطابه للمتلقي؛ للتأثير فيه، أو جعله يفعل شيئًا ما، فتكون بعض الخطابات ليّنة (كالإغراء لفعل شيء)، وبعضها عنيفة (كالإصرار على عمل شيء ما)، والرغبة، والإرادة تكون صادقة، وهي توافق شرط الإخلاص، وتتمثّل في صِيغ الاستفهام، والأمر، والنصح، والنهي، والرجاء، وغيرها، وهي عند أوستن تُسمّى السلوكيّات التي تعبّر عن ردّة فعل الآخرين (الاعتذار، والتعاطف).

ج- **الالتزاميات (Commissives)**: ويُطلق عليها (الملفوظات التعهدية)، ويقصد بها التزام المتكلم بعمل شيء ما في المستقبل، وشرط الإخلاص يكون القصد، وهي مطابقة لتقسيم أوستن.

د- **التعبيريات (Expressives)**: ويُطلق عليها اسم آخر (البوحيّات)، وغرضها الإنجازي الأساسي تعبير عن الموقف النفسي للشخص، وأن يكون ذا نية صادقة، وهذا الصنف عند تقسيم أوستن يتضمّن علاقة الأفعال الإنجازية كثيرًا من أفعال السلوك (Behavitives Berbs): كالتهنئة، والشكر، والتعزية.

هـ- **الإعلانيّات (Declarations)**: تمتاز هذه الفئة بأنّها أفعال، مضمونها مطابق مع الواقع، وهي ما أُطلق عليها اسم آخر (الملفوظات التصريحية)، وغرضها إنجاز تغيير في العالم، أي: يتطابق اللفظ المعبر عن القضية بالفعل الإنجازي، وهذا الفعل لا يتطلب شرط الإخلاص؛ لأنّ مجرد الاعتقاد بأنّ الأداء ناجح يجعل الفعل ناجحًا [1]

وقسّم سيرل الأفعال الإنجازية إلى أفعال مباشرة، وغير مباشرة، بالنظر إلى قوّتها الإنجازية:

أ- أفعال مباشرة، يتطابق مراد المتكلم مع قوتها الإنجازية Direct Speech Act، أي: ما يتكلّم به المتكلم يكون مطابقًا حرفيًّا لمراده الذي يقوله، كأن يأمر المتكلم المخاطب بأمر، فهو يريد استجابة هذا الأمر.

ب- أفعال غير مباشرة، وهي عكس مراد المتكلم Indirect Speech Act، كأن يسأل سؤالًا، ولا يريد هذا السؤال، بل الطلب.[2]

يعدّ الفعل عنصرًا مُهمًّا في تشكيل المعنى في التواصل اللغويّ، ولا يقتصر

---

[1] فليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، تعريب: صابر الحباشة، عبد الرزاق الجمايعي، (إربد، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٢م)، ٩٣-٩٤-٩٥.

[2] ينظر: فليب بلانشيه، ٦٥. جورج يول، التداولية، ترجمة: قصي العتابي، مرجع سابق، ٩٢. أحمد النحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ٨٢. أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، (بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ٢٠١٠م)، ٥٠.

تأثيره في دلالاته الظاهرة، بل يمتدّ إلى ما يحمله من مقاصد ضمنيّة في السياق، ويتّضح لنا من خلال استعراض الفعل المباشر الذي يظهر حين يعبّر المتكلّم عن قصده تعبيرًا واضحًا وصريحًا، أمّا الفعل غير المباشر؛ فيتجلّى عندما يفهم المقصود من خلال السياق، أو التلميح؛ للتأثير والإقناع دون تصريح مباشر، ومن هنا؛ تتّضح صورة الفعل المباشر، وغير المباشر في فهم المعنى الحقيقيّ، وتفسير مقاصد المتكلم.

المبحث الثاني: الفعل المباشر وغير المباشر في المقطع الحواري

(وَإِذ قَالَ إِبرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَومَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ) (سورة الأنعام: أية ٧٤)[١]. بدأت الآية بحوار إبراهيم –عليه السلام– مع أبيه (آزر)، فجاء الحوار بجملة من الأفعال الكلامية في قوله تعالى: (قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ) فجاء الفعل بصيغة الإخبار؛ إذ يفتتح خطابه ليهيّئ المتلقي لتلقي الرسالة. (أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)، فهنا جاء الفعل الكلامي بصيغة الاستفهام التوجيهي (أتتخذ)، فهو يستفهم عن الأصنام التي يعبدها أبوه وقومه، ويتّخذونها آلهة من دون الله، فالفعل غير المباشر، هو الإنكار والتقليل من هذه العبادة، ونجد في خطابه سؤالًا لا يريد منه إجابة، ولكن كان استفهامًا "يحمل وظيفة إنكارية ليبين لأبيه ضلاله المبين، إذ يسعى إبراهيم بخطابه الذي يحمل أسلوبًا إنكاريًّا، يريد به تغير معتقد أبيه وقومه بصفة غير مباشرة"[٢]، فالفعل التأثيريّ تمثّل في سعي إبراهيم في بثّ الشك في وعي أبيه وقومه عن عبادتهم للأصنام، دون إصدار أمر مباشر، بل كان عن طريق التأثير غير المباشر والاستدراج بطريقة، ظاهرها صيغة سؤال، وباطنها إنكار وتوبيخ.

(إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا)[٣]، هنا بدأ إبراهيم –عليه السلام– خطابه بنداء لأبيه ودعوته؛ إذ اشتمل نداؤه على الحلم والرقة والتلطف وتنبيهه لأبيه، فعمد في ندائه على إستراتيجية التقرب، فجاء الفعل الكلاميّ التوجيهي في النداء (يا أبت) الذي أفاد قوّة إنجازية غير مباشرة في التلطف وشدّ الانتباه. ثُمّ "ابتدأ بالحجة الراجعة إلى الحسّ؛ لإقناع أبيه والتقرب منه"[٤] بقوله: (لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ؟)، وجاء الفعل الكلامي (لمَ تعبدُ) فعلًا توجيهيًا

---

[١] سورة الأنعام: أية ٧٤.
[٢] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٧، ٣١٣.
[٣] سورة مريم: أية ٤٢.
[٤] ابن عاشور، المرجع السابق، ج١٦، ١١٤.

استفهاميًّا، ذا قوة إنجازية غير مباشرة، والهدف منها الإنكار، وإظهار التشكيك في عبادة الاصنام، وبيان عدم منفعتها. فكان في تكراره للكلمات (لا يسمع، ولا يبصر، ولا يغني) أسلوب، يعتمد عليه المخاطب؛ لإبراز عيوب ما كان يعبده، وهي الأصنام. (يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا)[١]، يفتتح إبراهيم خطابه في هذه الآية "بإعادته لنداء (يا أبت) بوصف الأبوّة، وإحضار الذهن، وتأكيد العلاقة"[٢]، وهو فعل كلاميّ تأثيريّ جاء غرضه غير مباشر، وهو التلطف والتنبيه. وقد ذكر سيرل في قاعدة التأدب: "يُعدّ من أبرز الدوافع لاستعمال الإستراتيجية غير المباشرة في الطلب، وهناك صيغ معينة تكاد تكون بطبيعتها طرائق عرفية للتأدب في إنجاز الطلب غير المباشر"[٣]، فقال: (قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ)، فهو أراد إخبار والده، ولم يُرِد وصف أبيه بالجهل، أو أنه ليس لديه علم، وإنما أراد أن يقول لأبيه: إن لديه علمًا ليس عنده، أي: كان يقصد بالعلم الوحي، وعلمه بالثواب، والعقاب، والآخرة.[٤] ثُمّ يستكمل إبراهيم خطابه مع والده؛ إذ يرجو أن يتبعه في قوله: (فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا)؛ إذ أراد من أبيه أن يتبعه؛ لكي يرشده إلى الطريق المستقيم، فجاء الفعل الكلامي (فَاتَّبِعْنِي) فعلًا توجيهيًّا متمثّلًا في الأمر، أدّى إلى قوة غير مباشرة في الرجاء والنصح، بدعوة أبيه للسير على دينه، الذي من بعد هذا الاتّباع يكون الجزاء لهذا الأمر (أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا).

(يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا) (يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا)[٥]، جاء الفعل الكلامي في الآية متمثلًا في (لَا تَعْبُدِ)، وهو فعل توجيهيّ مباشر في النهي، أدّى إلى معنى غير مباشر، وهو التحذير؛ إذ يحذّر إبراهيم أباه من عبادة الأصنام، ووسوسة الشيطان، وأنه عاصٍ للرحمن. فجاءت الآية: (إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا)، "عندما أراد أن ينصح أباه وينبّهه فيما كان متورّطًا فيه من العبادة الخاطئة قام بترتيب الكلام في

---

[١] سورة مريم: أية ٤٣.
[٢] ابن عاشور، المرجع السابق، ج١٦، ١١٤.
[٣] ينظر: عبد الهادي الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية، المرجع السابق، ٣٧٢.
[٤] ينظر: ابن عاشور، المرجع السابق، ج١٦، ١١٦. عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ)، ٤٩٤.
[٥] سورة مريم: أية ٤٤–٤٥.

أحسن اتساق وانسجام مستعملًا اللطف واللين والأدب"[١]؛ فجاء المعنى غير مباشر, داعمًا للفعل الكلاميّ المباشر في النهي، وتأكيدًا له. ثُمّ يبيّن إبراهيم لأبيه خوفه من أن يحلّ عليه عذاب من الله، بقوله: (أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ)، وهو فعل كلاميّ إخباريّ، يخبر إبراهيم عن "خوفه وتحذير أبيه من عذاب الله، إذ يعبّر إبراهيم عن موقفه تجاه أبيه الذي يعكس قلقه من أن يمسّ أباه العذاب". [٢]

وهنا نلحظ في حوار إبراهيم مع أبيه أنه اعتمد على إستراتيجيات للتأثير في أبيه، وإقناعه بعبادة الله، وترك عبادة الاصنام، وهي:

١-التأثير العاطفيّ في قوله: (يا أبت)، ففي خطابه تهدئة لأبيه؛ إذ تدلّ على حبّه، وتعلّقه، وخوفه عليه.

٢-التأثير العقلي في قوله: (إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ)، فهو يبيّن لأبيه معرفة جديدة، تدفعه إلى التفكّر والمراجعة في معتقداته.

٣-التأثير المنطقيّ في قوله: (يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا)، فهو لجأ إلى الحجة المحسوسة التي تثير التفكير، وتلفت الانتباه عن طريق أسلوب الاستفهام.

٤-التأثير السلوكيّ في قوله: (فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا)؛ إذ يستخدم أسلوب الأمر الذي يسعى إلى حث أبيه على تغيير نهجه، واتّباعه إلى الصراط المستقيم.

(قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا)[٣]، جاء "جواب والد إبراهيم الذي عبّر عن موقفه من دعوة إبراهيم بالجفاء، وهو ما كان عكس خطاب ابنه"[٤]، فكان جواب أبيه بسؤاله: (أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ)، واحتوت الآية على فعل كلامي في (أَرَاغِبٌ)، وهو فعل استفهاميّ توجيهيّ، وفعل غير مباشر هو الإنكار: "إنكار لتجافي إبراهيم عن عبادة أصنامهم"[٥]، وذكر ابن عاشور: "والنداء في (يَا إِبْرَاهِيمُ) تكملة لجملة الإنكار"[٦]، ثُمّ يحاور ابنه بأسلوب النهي والإخبار: (لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا)، فالذي يُقصَد منه الفعل هو

---

[١] رنا أحمد عبد الرحيم، جماليات المفارقة في القصص القرآني، (الأردن، مطبعة حلاوة النموذجية، د-ط، ٢٠١٥)، ١٣٥.

[٢] ابن عاشور، المرجع السابق، ج١٦، ١١٨.

[٣] سورة مريم: أية ٤٦.

[٤] ابن عاشور، المرجع السابق، ج١٦، ١١٨.

[٥] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٦، ١١٨.

[٦] ابن عاشور، المرجع السابق، ج١٦، ١١٩

"التحذير والتهديد الصريح؛ إذ لم يرجع إبراهيم عن موقفه فإنّ عقابه هو الرجم والهجر طويلًا"[١]، (وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا)، وهو فعل كلاميّ توجيهيّ، جاء يفيد الأمر الذي عمد إلى قوة غير مباشرة، وهي التهديد الذي من خلالها بيّنت رغبة والده في إنهاء هذا التواصل، فالفعل التأثيري –هنا– تمثّل في الصراع النفسيّ، والاجتماعي لدى إبراهيم لإبعاده عن دعوته؛ إذ كان في خطاب أبيه التوبيخ والتهديد، والأمر بالهجر؛ إذ لم ينتهِ عمّا يقول. ولكن إصرار إبراهيم على التوحيد زاد هذا الخطاب قوة.

(قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا) (وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا)[٢]، كان إصرار إبراهيم – عليه السلام– على دعوته، فكان ردّه على تهديد أبيه: (قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ)، وهو فعل كلاميّ إخباريّ تقريريّ، قوّته الغرضية تكمن في " إشارة إلى أنه لا يسوء ذلك الهجر في ذات الله تعالى"[٣].

قال إبراهيم –عليه السلام–: (سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا)، وهو فعل وعد التزامي من إبراهيم لأبيه بأن يستغفر له رغم عدائه؛ إذ ذكر هذا الوعد في موضع آخر: (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) (سورة التوبة: آية ١١٤). (وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ) فعل من الأفعال الالتزامية الإخبارية التي أنجزت الفعل في المستقبل القريب، إلا أن الفعل يحمل معنى ضمنيًّا، وهو الإرجاء والإمهال لوالده عسى أن يعود إلى رشده؛ إذ يعلن إبراهيم اعتزاله الصريح لما يعبد قومه وثبات موقفه، فجاءت الأفعال مبينة عن استغفار إبراهيم لأبيه، وذكر ابن عاشور: "أنّ استغفاره يقع في المستقبل، واعتزالهم يقع الآن"[٤]، وهو ما ورد في موضع آخر في قوله: (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ) (سورة الصافات: آية ٩٩)، فالقوة الإنجازية كانت متضمنة تصريح إبراهيم بعدم الرضا، وهجرهم، وترك ما يعبدون من دون الله.

(إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ) (قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ)[٥]

---

[١] الألوسي، روح المعاني، ج١٦، ٩٩.
[٢] سورة مريم: أية ٤٧–٤٨.
[٣] ابن عاشور، المرجع السابق، ج١٦، ١٢١.
[٤] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٦، ١٢٢.
[٥] سورة الأنبياء: أية ٥٢–٥٣.

بدأ إبراهيم –عليه السلام– خطابه مع أبيه وقومه بسؤال استفهاميّ توجيهيّ؛ دلالة على نفي صفة الألوهية لأصنامهم: (مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ)؛ إذ حمل الفعل قوّتين، الأولى: الاستفهام لغرض طلب الإجابة، والأخرى: قوة إنجازية غير مباشرة، وهي الإنكار، والتشكيك في صحة عبادتهم للأصنام، فهو "يسألهم بـ(ما) التي من خلالها يطلب بيان الحقيقة؛ إذ في سؤاله الاستفهاميّ يبيّن شيئًا معلومًا للسائل، وتصغير وتحقير لشأن المسؤول عنه"[١]، فهو يجادل قومه محاولًا إثارتهم للنقاش، وإقناعهم بفساد عبادتهم. وجاء جواب قومه سريعًا في قولهم: (قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ)، وكان جوابهم إخبارًا عن اقتناعهم باتباعهم مسلك آبائهم، فجاء الفعل الكلامي (وَجَدْنَا) محقّقًا للفعل الإخباري، وهو التقرير، والتبرير التقليديّ دون حجج عقلية، "فهم متمسّكون بهذه العبادة اتّباعًا لآبائهم: كالتصديق بأنّ كلّ ما يفعله آباؤهم هو أحق في اتّباعه".[٢]

(قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ)[٣]، يُقدِّم إبراهيم –عليه السلام– جوابًا صريحًا لقومه أنهم في ضلال مبين، فهو فعل كلاميّ إخباريّ تقريريّ، تمثّلت خلفه قوة غير مباشرة، وهي التوبيخ والإنكار، وعَبَّر" بـ(كنتم)؛ لإشعارهم بقِدَمِهم وعَراقتهم في هذا الضلال، هم وآباؤهم، وتقديم الأبناء على آبائهم في (أنتم) خلافًا للترتيب الوقوعيّ؛ لأنّ الأبناء هم المخاطَبون بهذا الردّ الشديد".[٤] ردَّ قومه: (أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ)، وهو فعل توجيهيّ استفهاميّ في أداة الاستفهام (الهمزة) والفعل (جئتنا) أدى إلى فعل غير مباشر في التعجب والإنكار، وجاء ردّهم بعدم التصديق بقول إبراهيم، والتقليل منه بوصفه باللعب"، أي: بمعنى الهزل بالكلام".[٥]

(قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ) (وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ) (فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ)[٦]، تضمّنت الآية ردّ إبراهيم –عليه السلام– في قوله: (بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)، وهو "إضراب لإبطال دعوتهم أنه من اللاعبين"[٧]، فجاء

---

[١] ابن ستيت، خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، المرجع السابق، ١٢٠.
[٢] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٧، ٩٥.
[٣] سورة الأنبياء: أية ٥٤–٥٥.
[٤] ابن ستيت، خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، ١٢٣.
[٥] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٧، ٩٥.
[٦] سورة الأنبياء: أية ٥٦–٥٧–٥٨.
[٧] ابن ستيت، خصائص النظم القرآني، المرجع السابق، ١٢٦.

الفعل الكلاميّ يفيد الإخبار، وتقرير لإثبات حقيقة التوحيد، وإبطال عقيدتهم. وتمثّلت القوة الإنجازية في فعل الأمر التوجيهي غير المباشر الذي كان ضمنيًّا في قوله (بل)، والتأكيد في قوله: (رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ)؛ إذ يظهر محاولته في تغيّر اعتقادهم، وتوجيههم نحو التوحيد، والفعل الالتزاميّ جاء داعمًا للقوة الإنجازية، ومؤكدًا لقوله: (وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ). (وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ)، فهنا جاء الفعل الإلزاميّ متمثّلًا في القسم، والقوة غير المباشرة أفادت توعُّد إبراهيم، وعزمه بتحطيم أصنامهم، "عندما رأى حجته القولية، وطريقته الحوارية مع قومه لم تُجدِ نفعًا، انتقل إلى الحجة العملية"[١]، وذكر الزمخشري: "أن مجيء التاء في القسم لأمر متعجَّب منه، كأنه تعجب من تسهيل الكيد على يده وإتيانه؛ لأنّ ذلك كان أمرًا مقنوطًا منه؛ لصعوبته وتعذره"[٢]، فهنا جاء الفعل الكلاميّ محمّلًا بدلالتين غير مباشرتين، وهما: وعيد إبراهيم، والتعجب.

(فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ)، بعد وعيد إبراهيم بتحطيم الأصنام، واستثناء الصنم الأكبر الذي كان من ورائه قصد لتركه، تمثّل في الإخبار عن فعل إبراهيم، والتقرير الذي بيّن القصد من إبقاء كبيرهم، وهي دلالة ضمنية بيّنها فعل إبراهيم التي من خلالها يظهر عجز آلهتهم، (إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ)، فهو يعلم عدم منفعتها، فجاء القصد الخبريّ المستعمل للتقوية في موضع الآية: (قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ).[٣]

(قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ) (قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ) (قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ)[٤]، جاءت الآية مبيّنة استفسار قومه عمّن فعل التكسير في أصنامهم، ففي "الكلام حذف، وتقديره: بعد رجوعهم من عيدهم، ورأوا ما حدث"[٥]، فالفعل توجيهيّ، جاء متمثّلًا في الاستفهام، والقوة الإنجازية غير المباشرة، وهي "الإنكار التوبيخي والتشنيع"[٦]؛ إذ سؤالهم ليس للمعرفة فقط، بل للاعتراض، والبحث عن المتسبب في هذا الفعل، وإقامة العقاب

---

[١] أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهر ستاني، الملل والنحل، ضبطه وعلق عليه: كسرى صالح العلي، (سوريا، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط١، ٢٠١٣م)، ٣٦٣.

[٢] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج١٧، ٦٨١.

[٣] ينظر: أبو الستيت، خصائص النظم القرآني، ١٣٣.

[٤] سورة الأنبياء: أية ٥٩–٦٠–٦١.

[٥] الشوكاني، فتح القدير، ج٣، ٥٦٥.

[٦] أبو ستيت، خصائص في النظم القرآني، المرجع السابق، ١٣٤.

عليه؛ لما في سؤالهم من إنكار على من يجرؤ على فعل هذا الأمر بآلهتهم التي لها عظمة وشأن لديهم، وجاءت جملة "(إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ) مستأنفة لما قبلها من الإنكار والتوبيخ، وتأكيدها بـ(أنّ واللام)؛ لتحقيق مقام التعليل، والتقرير لفعل الشائن، فهي تحمل بُعدًا قويًّا على من فعل هذا الفعل بوصفه من الظالمين".[١]

جاء الجواب: (قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ)، فـ"فيها تصغير وتحقير في شأنه، فهم لا يعرفونه إلا أنه فتى مجهول، يدعي إبراهيم"[٢]، فهي جملة إخبار عمّن نقل لهم خبرًا عندما سمع إبراهيم يقول: (وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ)، فالفعل الكلاميّ تمثّل في الإخبار: (يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ) الذي أنجز قوّة، وهي الإتيان بإبراهيم على أعين الناس: (فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاس)، فالفعل التوجيهيّ المباشر تمثّل في الأمر، وهو طلب أمريّ توجيهيّ من (الزعماء) إلى الأدنى؛ لتنفيذ المحاكمة، وجملة (لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ) جاءت حجاجية؛ لتحقيق غاية حضوره على أعين الناس، منها:

- شهادته على تحطيم الأصنام.
- بروز شهادته أمام الناس عند استجوابه.
- إصدار الحكم الجماعي عليه، وتمثّل في "إحضار إبراهيم؛ لمحاكمته أمام الناس، وذلك لغاية التأثير في الحشود"[٣]، وجعل القضية عامّة؛ لإشراك الجمهور، وزيادة التحريض التي جاءت بصيغة الجمع في قول: (فَأْتُوا بِهِ) لجمع الناس ضد إبراهيم، والتأثير النفسي –أيضًا– على إبراهيم؛ لجعله يعترف أمام الملأ، والإقناع الجماعيّ؛ لاتّخاذ عقاب صارم ضده.

(قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ) (قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ)[٤]، ابتدأت الآية بسؤال قومه عن الجرم الذي افتعل في أصنامهم، بقولهم: (أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ)، وجاء السؤال استنكارًا وتوبيخًا، واتهامًا ضمنيًّا للنبي إبراهيم، عليه السلام؛ إذ لم تكن طريقة سؤالهم استفسارًا عما حدث، بل كانت وسيلة لتحميل إبراهيم الجرم والاعتراف به، فالفعل التوجيهي تمثّل في الاستفهام، والفعل غير المباشر أفاد التقرير والاتهام الضمنيّ، والاعتراف بالفعل

---

[١] أبو ستيت، المرجع السابق، ١٢٤.
[٢] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٧، ٩٩.
[٣] الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ٥٦٥.
[٤] سورة الأنبياء: أية ٦٢–٦٣.

لإقامة الحدّ عليه، ثُمّ جاء نفي إبراهيم –عليه السلام– عن نفسه هذا الاتهام بقوله: (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ)، وأراد إبراهيم إقامة الحجّة عليهم "فهو أراد أن يبيّن لهم أنّ من لا يتكلم ولا يبصر ليس بمستحقّ للعبادة"[١]، وهنا جاء الفعل الكلاميّ في الآية: (قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ) للإخبار التي أنجزت قوة غير مباشرة، وهي نفي الاتهام عنه، والفعل التوجيهيّ الأمر في قول: (فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ) خلّفت قوة إنجازيّة ضمنيّة، وهي السخرية والتهكّم، وهو أسلوب، يستخدمه المخاطب؛ للتأثير في المتلقّي، وهو ما يُسمّى (بالمغالطة المنطقيّة المشروطة)[٢]، وقدم إبراهيم هذه المغالطة؛ لدفع قومه بالتفكّر واستنتاج الحقيقة بأنفسهم، فالفعل تمثّل في إثارة الفكر عن منطقية العقيدة، إلا أنّ الآيات التي بعدها أقرّت حقيقة إنكارهم وتكبّرهم بعد تفكّرهم، في قولهم: (ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ).

(فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ) (ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ)[٣]، ويظهر في هذه الآية" تنبيه إبراهيم –عليه السلام– لقومه، وإظهار قبح عبادتهم التي سلكوها مثل آبائهم، إذ علموا أنّ عبادتهم باطلة، وأنّهم على جهل"[٤]، فهنا يتجسّد الفعل الكلاميّ (فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ) التي أفادت الإخبار، والقوة ضمنية التقرير؛ إذ يُقرّون بأنّهم على باطل وخطأ. وفي الآية: (ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ) جاء الفعل الكلاميّ يفيد الإخبار الذي حمل فعلًا غير مباشر، وهي الإنكار، وتنكيس حجتهم بقولهم: (لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ) باعترافهم أنّ الأصنام لا تستطيع النطق، فأرشدهم إبراهيم " على سبيل التوبيخ والتعنيف، مفرّعًا على اعترافهم بأنها لا تنطق، وهو استفهام إنكاريّ على عبادتهم إياها، وزائدًا بأنّ تلك الأصنام لا تنفع، ولا تضر" في قوله: (قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ).[٥]

(قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ) (أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا

---

[١] ينظر: الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، المرجع السابق، ٥٦٦.

[٢] المغالطة المنطقية: "وهي أنماط من الحجج الباطلة التي تتخذ مظهر الحجج الصحيحة"، عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، (المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي، ٢٠٠٧م)، ١٨.

[٣] سورة الأنبياء: أية ٦٤–٦٥.

[٤] الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ج٢٢، ١٥٦.

[٥] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٧، ١٠٤.

تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)[١]، إذ تمثّل الفعل التوجيهي في الاستفهام الذي أنجز قوة غير مباشرة، وهي التعجب والإنكار التوبيخي من عبادتهم لغير الله، فإبراهيم يُبيّن لقومه حقيقة هذه المعبودات التي لا تملك لهم نفعًا، ولا ضرًّا، ففي "سؤاله لا يقصد منه جوابًا، ولكن أريد منه توجيه المخاطبين إلى التفكّر في معتقداتهم، والفاء عاطفة على مقدّر: أي: أتعلمون ذلك فتعبدون، والتعبير بالمضارع" تعبدون" يدلّ على استمرارهم لهذه العبادة".[٢]

ثُمّ يعلن إبراهيم ضجره منهم بقوله: (أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)، وهنا يثبت إبراهيم لهم عجز أصنامهم، وعدم الجدوى منها في العبادة، وهو فعل تعبيريّ، يعدّ من أفعال البوح التي توحي بالغضب والضجر: (أُفٍّ لَّكُمْ)، "وهو اسم فعل دالّ على الضجر، بيّن صورة المتضجر لضيق نفسه من الغضب، والتنوين في أف يُسمّى تنوين التنكير، والمراد به التعظيم: أي ضجرًا قويًّا لكم"[٣]، فجاء الفعل الكلاميّ متمثّلًا في الإخبار الذي من خلاله أنجز فعلًا غير مباشر، وهو التعبير عن الحالة النفسية التي صرّح بها إبراهيم، وهي: شدة ضجره، وكان ردّ إبراهيم قويًّا، فهو اشتمل على قوّتين: الإنكار، والتأفّف والتقليل منهم ومن عبادتهم.

والملاحظ –هنا– ترتيب الأمور في إنكار إبراهيم لعبادتهم التي جاءت على النحو الآتي:

– إبطال عبادتهم.

– تأفّفه وضجره من تمسّكهم بهذه العبادة.

– بيان عدم إدراكهم وتعقّلهم لجدوى الأصنام، و"فصلت الجملة في قول: (أُفٍّ لَّكُمْ)، و(أَفَلَا تَعْقِلُونَ) عن الأخرى؛ لأنّهما متفرّعتان عليها؛ لزيادة الذمّ والتوبيخ بأعلى كلمات التحقير"[٤]، فهذه العبادة تقتضي استحقارهم والاشمئزاز من عدم تفكّرهم وتعقّلهم، وهي أدلّة بائنة من العقل والحسّ بقوله: (ألا تتفكرون)، (أفلا تعقلون)، وفيها بيان مدى تمسّكهم بهذه العبادة التي لا تملك لهم ضرًّا، ولا نفعًا.

(قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ) (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) (وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ)[٥]، واستكمالًا لما سبق، جاء ردّ

---

[١] سورة الأنبياء: أية ٦٦–٦٧.

[٢] أبو ستيت، خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، ١٤٦.

[٣] ابن عاشور، التحرير والتنوير، المرجع السابق، ج١٧، ١٠٤.

[٤] البقاعي، برهان الدين، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج١٢، ٤٤٣.

[٥] سورة الأنبياء: أية ٦٨–٦٩–٧٠.

قومه في الآية: (قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ) أمرًا صريحًا؛ إذ يفيد طلبًا. ففي صيغة (حرقوه) "شدة في المبالغة، حتى لا يبقى أثر له، وقيل: لشدة كرههم وغيظهم منه"[١]، فجاء الفعل التوجيهيّ متمثّلًا في الأمر، والفعل غير المباشر تمثّل في "الأثر المتوقع من قومه بأخذ الثأر والانتقام والنصر لآلهتهم: (وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ)، ففي كلامهم إظهار وإثارة الحمية على إبراهيم؛ للدفاع عن عقائدهم الدينية، والضمير الغائب جاء مشيرًا إلى تحقيرهم من شأنه، فجملة (إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ) جاءت متمّمة للفعل غير المباشر، ومُقوّية للتحريض والأخذ بالثأر"[٢]، فالفعل التأثيري تمثّل في أنّ القوم تأثروا، فقرّروا تنفيذ الثأر وأعدّوا النار؛ لإلقاء إبراهيم، وهو ما حقّقه الفعل الكلامي مباشرًا، ودل على قوته التأثيرية.

وفي آية:(قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) يوجّه الله –تعالى– خطابه المباشر للنار، وهو فعل توجيهيّ، جاء متمثّلًا في الأمر، ومن خلال الأمر المباشر في الخطاب تبيّن "بعدم وجود فاصل زمنيّ بين تحريقه، وإلقائه في النار، وبين نجاته"[٣]؛ إذ جاءت النون للعظمة، "أي: بعظمتنا" دلالة على قدرة الله، وأنّ أمره لا يقدر عليه سواه[٤]، فهو جعل النار مأمورة مطاعة، فتمثّل الفعل غير المباشر في قدرة الله، والأمر الذي بمعنى التسخير، وتحويل النار للنجاة، وجملة (كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) أفادت "دوام بردها لجعلها مكونة له"[٥]، وكلمة "(سلامًا) أي: الاحتراس من دوام البرد إذا اشتدّ"[٦]، فالقوّة الإنجازية جاءت على النحو الآتي: نجاة إبراهيم، والمعجزة الربانية التي أبطلت أثر النار.

– كيد قومه، وشروعهم بأخذ الثأر، فكانت النتيجة فشل ثأرهم، وتحويل كيدهم إلى (وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ).

– الأثر النفسيّ في المتلقّي؛ إذ يترسّخ في ذهن المتلقّي قدرة الله، وأمره النافذ على النار، وكيد البشر.

---

[١] أبو ستيت، خصائص النظم القرآني، ١٥٠.
[٢] أبو ستيت، المرجع السابق، ١٥٠.
[٣] أبو ستيت، المرجع السابق، ١٥١.
[٤] البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج١٧، ٤٤٥.
[٥] أبو ستيت، المرجع السابق، ١٥١.
[٦] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٧، ١٠٨.

الخاتمة:

حاولت الدراسة الكشف عن الأفعال الكلاميّة المباشرة، وغير المباشرة في حوار إبراهيم مع أبيه، وقومه، وقد تُوصِّل إلى مجموعة **من النتائج**، وهي:

- قامت حوارات إبراهيم –عليه السلام– مع أبيه، وقومه على مجموعة من الأفعال الكلاميّة المباشرة، وكانت أكثر الأفعال حضورًا في الحوار هي التوجيهات المبنيّة على الاستفهام.

– اعتمد إبراهيم في حواره على الاستفهام؛ لتوجيه أبيه وقومه وإشراكهم في الحجة.

– تعدّد معاني الاستفهام، والنّداء، والأمر؛ لتنوّع السياقات التي وردت فيها؛ إذ خرجت الأفعال الإنجازية المباشرة إلى أفعال غير مباشرة: كالاستفهام إلى الإنكار، والنداء إلى التلطّف وشدّ الانتباه، والأمر إلى النصح.

– اعتمد إبراهيم –عليه السلام– على عدد من الإستراتيجيات؛ للتأثير، وإقناعهم بعبادة الله، وترك عبادة الأصنام.

– يُبرِز حوار إبراهيم –عليه السلام– مع أبيه وقومه حقيقة التوحيد من خلال الأفعال التوجيهيّة المباشرة التي نقلت الفعل المباشر إلى الفعل غير المباشر مدعمًا بالحِجج العملية.

وخرجت الدراسة على توصيات، من أهمها:

١–التوسع في دراسة الخطابات القرآنية، لمعرفة الآليات اللغوية في تحقيق الإقناع والتأثير قي المخاطب.

المصـــادر:

- القرآن الكريم.
- ابن عاشور، محمد الطاهر(١٩٨٤م) تفسير التحرير والتنوير تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجدبد من تفسير الكتاب المجيد، (تونس، الدار التونسية للنشر).
- أبو الفتح، محمد بن عبد الكريم ستاني (٢٠١٣م) الملل والنحل، (سوريا، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط١).
- أبو ستيت، الشحات محمد (١٤١٢هـ) خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم – عليه السلام– ، (مصر: مطبعة الأمانة).
- آل سرور، سعيد، (٢٠٢١م) الأفعال الكلامية اللغوية المباشرة وغير المباشرة في كتاب ذكريات للطنطاوي، (المجلة العربية للنشر العلمي).
- الألوسي، شهاب الدين محمود الحسيني(١٤١٥هـ) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية).
- البقاعي، إبراهيم بن عمر حسن الرباط أبي بكر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (القاهرة:

دار الكتب الإسلامي، د.ت).
- بلانشيه، فليب (٢٠٠٧م) التداولية من أستن إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، (سورية: دار الحوار للنشر والتوزيع).
- بول، جورج (٢٠١٠م) التداولية، ترجمة قصي العتابي، (بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١).
- الجيلاتي، دلاش(١٩٩٢م) مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد يحياتن، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية).
- الرازي، فخر الدين (١٤٢٠هـ) التفسير الكبير، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٣).
- الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل، شرحه: يوسف الحمادي، (مصر، مكتبة مصر، ط١، ج٣).
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر(١٤٢٠هـ) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (مؤسسة الرسالة، ط١).
- الشهري، عبد الهادي ظافر(٢٠٠٤م) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، (ليبيا: دار الكتب الجديد).
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (١٤١٤هـ) فتح القدير بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ت: عبد الرحمن عميرة، (بيروت، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط١.).
- الطبطبائي، طالب هاشم (١٩٩٤م) نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، (الكويت، مطبوعات جامعة الكويت).
- عبد الرحيم، رنا أحمد (٢٠١٥م) جماليات المفارقة في القصص القرآني، (الأردن، مطبعة حلاوة النموذجية، د–ط).
- العبد، جلولي، نظرية الحدث الكلامي من أستن إلى سيرل، (مجلة الأثر، العدد الخاص أشغال الملتقي الدول الرابع في تحليل الخطاب).
- مانغونو، دومونيك(٢٠٠٨م) المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد بحياتن، (الجزائر، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١).
- المتوكل، أحمد (٢٠١٠م) الخطاب وخصائص اللغة العربية، (بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١).
- مدور، محمد، (٢٠١٤م) الأفعال الكلامية في القرآن الكريم– سورة البقرة دراسة تداولية، (جامعة الحاج لخضر– باتنة.
- مصطفى، عادل (٢٠٠٧م) المغالطات المنطقية، (المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي).
- نحلة، أحمد محمود(٢٠٠٢م) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، (دار المعرفة الجامعية).